القائد المنتظر للعمال البريطانيين

بهاء العوام
صحافي سوري

لم تحمل امرأة راية حزب العمال البريطاني على مدار تاريخه. ربما حان الوقت لذلك بعد تلك الهزيمة التي مني بها الحزب في الانتخابات العامة الأخيرة. كانت الخسارة الأكبر للحزب منذ عام 1935، رغم أنه اتسع تحت قيادة جيريمي كوربين ليصبح أكبر أحزاب القارة الأوروبية بنصف مليون عضو.

مارغريت بيكيت، نائبة وسياسية عمالية، تسلمت قيادة الحزب بالإنابة لثلاثة أشهر فقط إثر الموت المفاجئ لرئيس الحزب جون سميث عام 1994. فاز العمال حينها بانتخابات البرلمان الأوروبي، ثم فازوا في الانتخابات البريطانية العامة التي وصل فيها طوني بلير إلى السلطة في يوليو 2007.

بيكيت كانت أول امرأة تتولى وزارة الخارجية البريطانية. كان ذلك في عهد بلير. وربما يتمنى كثيرون لو استمرت بيكيت في قيادة الحزب بدلا من بلير الذي جر الحزب والبلاد ككل إلى خطأ كبير اعتذر عنه لاحقاً، وهو مشاركة الرئيس الأميركي جورج بوش الابن في الحرب على العراق عام 2003.

بلير كان واحداً من ستة قادة للحزب وصلوا بالعمال إلى رئاسة الوزراء خلال مئة وعشرين عاماً. فقد تأسس الحزب عام 1900 عبر مجموعة حركات عمالية توحدت لتجعله ثاني أكبر الأحزاب البريطانية منذ 1924.

وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل تعاقب أربعة وعشرون شخصا على زعامة الحزب.

استدعاء بلير في الحديث حول الشخصية المرتقبة لخلافة جيريمي كوربين يستند إلى سببين. الأول هو التعليقات السلبية المستمرة لرئيس الوزراء الأسبق إزاء الحزب والحال الذي انتهى إليه بعد الانتخابات البريطانية الأخيرة، أما الثاني، فهو بعض صفات لبلير ربما يحتاجها الزعيم المقبل للعمال.

قبيل الانتخابات الأخيرة قال بلير إن كلا من الحزبين الرئيسيين، العمال والمحافظين، لا يستحق الفوز. أخطأ رئيس الوزراء الأسبق في التقدير لأن تقديراته كانت بدافع تأييد البقاء داخل الاتحاد الأوروبي، تماما كما فعلت زعيمة الليبراليين الديمقراطيين التي خسرت مقعدها في البرلمان البريطاني الجديد.

لكل زمن فرسانه، وبلير ليس واحدا من فرسان السياسة البريطانية اليوم. لكن تجربته في قيادة العمال على مدار ثلاثة عشر عاما، ربما تستحق التأمل في سياق البحث عن مواصفات خليفة كوربين. ليس لأن بلير هو الأفضل في تاريخ الحزب، وإنما لأنه يجسد الفروقات الحقيقية بين السياسي والثوري.

قرّب طوني بلير حزب العمال من يسار الوسط إلى درجة كبيرة. بشكل أو بآخر، يمكن القول إن العمال في زمن بلير جنحوا إلى الرأسمالية قليلاً. لم تكن تلحظ في زمن ذلك الزعيم تلك الفروقات الواضحة بين استراتيجيات الطبقة الكادحة، وأفكار أصحاب الأعمال وأرباب الملايين الذين ينتمي إليهم بلير.

ربما يحتاج العمال إلى سياسي براغماتي مثل طوني بلير ليقودهم في المرحلة المقبلة. شخص لا يبشر بثورة اشتراكية في البلاد كما فعل جيريمي كوربين. وإنما يروج لأفكاره الاشتراكية إن جاز التعبير، بثوب من حقوق الإنسان وشعارات دعم الاقتصاد الوطني التي تستقطب البريطانيين على اختلاف مشاربهم.

السياسي وليس الثوري، هو أيضاً من يعرف الفارق بين الرسائل الموجهة للخارج وتلك التي يخاطب بها الداخل. يعرف كيف يعلن تأييده أو رفضه لشيء ما يحدث خارج الحدود، دون أن ينعكس ذلك على شعبية الحزب وتوجهات الشارع البريطاني، فالأولوية دائماً وأبداً للداخل، مهما بدا الخارج مهماً.

المواقف الرمادية إزاء الأحداث والقضايا المعقدة هي أيضاً ميزة السياسي. وعندما يستعيرها ثوري مثل كوربين ليوظفها في الزمان والمكان الخاطئين، تكون الكارثة. رمادية كوربين في التعامل مع قضية بحجم ملف الخروج هي التي أدت إلى الخسارة المدوية التي لحقت بالعمال في الانتخابات الأخيرة.

> السياسي وليس الثوري، هو أيضاً من يعرف الفارق بين الرسائل الموجهة للخارج وتلك التي يخاطب بها الداخل. يعرف كيف يعلن تأييده أو رفضه لشيء ما يحدث خارج الحدود، دون أن ينعكس ذلك على شعبية الحزب وتوجهات الشارع البريطاني

ميزة أخرى تسجل لطوني بلير سجلت من قبله للمرأة الحديدية مارغريت تاتشر وسجلت من بعده لبوريس جونسون، ألا وهي تشكيل التحالفات الشعبية المؤيدة له من داخل الحزب وخارجه. هذه الميزة يحتاجها الزعيم المقبل للعمال كي يستعيد ثقة البريطانيين بحزبه، كمنافس حقيقي للمحافظين.

أن تكون زعيماً سياسياً وليس رئيس حزب فقط، أمر يحتاج لدهاء أكثر بكثير مما يحتاج إلى الثورية. لا يفتح الزعيم النار في الداخل إلا على خصم سياسي، وليس اقتصاديا أو دينيا أو اجتماعيا. ولا يؤيد في الخارج إلا تلك الدول التي تدعم مصالح بلاده وتزيد من رصيدها مادياً أو دبلوماسيا أو عسكريا.

ثمة فرق بين قيادة الأحزاب السياسية، وقيادة حراك عمالي على الطريقة السوفيتية. يجب أن يتأمل الزعيم المرتقب للعمال في مواطن ضعف الحزب قبل قوته. كذلك عليه أن يتفحص أسباب تأخر اليسار عموما في أوروبا، دون أن يتجاهل الفروقات بين المملكة المتحدة وأي دولة أخرى في القارة العجوز.

لا يكفي أن تمتلك أكبر قاعدة شعبية لحزب سياسي في القارة الأوروبية حتى تقود دولة مثل بريطانيا. هذه واحدة من الحقائق التي توصل إليها حزب العمال اليوم. وإعادة لم شمل هذه القاعدة وتوحيد صفوفها وراء أهداف واضحة، ستكون أولى مهام الزعيم الجديد للحزب، سواء كان رجلاً أم امرأة.

ثمة مرشحات عديدات لخلافة كوربين. وثمة مرشّحون أيضاً، ولكن بعدد أقل كما يتسرب عبر وسائل الإعلام المحلية حتى الآن. ليس جنس الزعيم هنا هو المهم فقط، وإنما الرؤية والاستراتيجية اللتان سيقود بهما الزعيم الحزب لتوحيد صفوفه أولاً، ومن ثم العودة إلى واجهة الحياة السياسية للبلاد.

ربما يمنح اختيار امرأة لخلافة جيريمي كوربين دفعة كبيرة من التفاؤل بعودة سريعة للحزب إلى صدارة المشهد السياسي. دعم واحدة من المرشحات الخمس اللواتي تتداول وسائل الإعلام أسماءهن، سيفتح صفحة جديدة بين الحزب وأعضائه من جهة، وبين الحزب والبريطانيين عموما من جهة أخرى.

الولاء لاشتراكية كوربين هو نقطة ضعف في أي من مرشح لخلافته. كذلك تأييد البقاء داخل الاتحاد الأوروبي. هناك أيضا تهمة معاداة السامية التي بقيت تلاحق كوربين طوال عهده. كل هذه إشكاليات يجب على الزعيم المقبل للعمال أن يكون بعيداً عنها كي تسقط أسباب الانقسام داخل الحزب.

وزيرة الخارجية في حكومة الظل إيميلي ثورنبيري أول من أعلن ترشحه لزعامة العمال اليوم. ثمة أخريات لم يعلنّ ترشحهن بعد، ولكن الحديث عن قيادة نسائية للحزب يتزايد في الإعلام البريطاني في ظل وجود خمس نساء على الأقل، يتمتعن بحضور جيد وقبول كبير بين ساسة الحزب ونوابه وأعضائه.

عملية انتخاب خليفة لكوربين ليست سهلة. القوانين الناظمة للحزب في هذا الشأن معقدة قليلاً، والتحديات التي تنتظر الزعيم المقبل، رجلاً كان أم امرأة، كثيرة وكبيرة. يحتاج العمال لاختيار دقيق يعيد للحزب قوته. وبتعبير آخر، يحتاجون إلى زعيم يقودهم بحنكة السياسي وانفتاح الاقتصادي وصبر الثائر.

تداعيات محاولة عزل دونالد ترامب داخليا وخارجيا

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك-باريس

نجح الديمقراطيون في المرحلة الأولى من مسار محاولتهم عزل خصمهم اللدود الرئيس الأميركي دونالد ترامب، لكن عدم قدرتهم في التعويل على مجاراة مجلس الشيوخ لتوجههم، يمكن أن يرتد سلباً على الحزب الديمقراطي في استحقاقي الانتخابات الرئاسية والتشريعية القادمة. وهذه الانعكاسات الداخلية لا تتوقف على احتدام المنافسة من دون ضوابط بين الحزبين التاريخيين، بل على الصلة بين البيت الأبيض و"الدولة العميقة" وتأثير كل ذلك على صورة أميركا في العالم وعلى مسار ومصداقية سياساتها الخارجية.

اعتمد دونالد ترامب المثير للجدل في مسار صعوده السياسي على تلميع صورته وإمكاناته. وربما أراد دخول التاريخ بمثابة أول رئيس أميركي وزعيم غير عادي من خارج المؤسسة وربط ذلك بنجاح اقتصادي تطبيقاً لشعاري "أميركا أولاً" و"إعادة عظمة أميركا". وأراد رجل الأعمال الناجح ألا يكون فقط "عملاق العقارات" كما يصفونه أو "الديماغوجي والشعبوي" المتقن في الاستعراض من خلال الخطابة الموجهة للجميع ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

لكن، لم تكن تراوده فكرة عمل مناهضيه على دخوله تاريخ الولايات المتحدة أولاً من باب محاولة عزله، إذ بعد تصويت مجلس النواب على إدانته الاتهامية ومواجهة المحاكمة في الكونغرس، يكون دونالد ترامب الرئيس الأميركي الثالث (بعد أندرو جونسون في سنة 1968 وبيل كلينتون في 1998)، الذي تعرض لهذا الإجراء، علماً أن سلفه ريتشارد نيكسون المتهم بفضيحة ووترغيت تحاشى الأسوأ بتقديم استقالته عام 1974.

وبالرغم من كلام ترامب عن كراهية خصومه السياسيين وعدم تسليمهم به رئيساً منذ اللحظة الأولى، وبالرغم من اطمئنانه إلى ضمان تأييد الحزب الجمهوري له في مجلس الشيوخ لإحباط باقي المسار، إلا أن مصادفة التصويت قبل أقل من عام على الانتخابات الرئاسية القادمة، يعجل برمي كل الأوراق في معارك العام 2020.

إلى جانب الآثار الشخصية على كبار المعنيين بمسار محاولة العزل وأولهم رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي، والوصمة التي ستطبع الرئاسة، ستتجه الأنظار نحو المعركة الانتخابية الكبرى حيث يأمل ترامب أن تكون فرصة للانتقام ورد الاعتبار. وفي معاينة لردة فعله الأولية عند تلقيه خبر التصويت، وفي اعتماد على شعبية لا تتضاءل وعلى نواة انتخابية صلبة، يراهن ترامب على تحول المسار إلى "انتحار سياسي للحزب الديمقراطي".

ويلاحظ في هذا الصدد أن بيلوسي الآتية من الجناح اليميني في الحزب الديمقراطي والتي جهدت للاحتفاظ بموقعها، كانت تريد أن يقترن اسمها بالمصادقة على قانون الضمان الصحي في حقبة باراك أوباما وليس بالمسار المتعرج والمعقد لمحاولة العزل. لذا يبدو أن بيلوسي التي لا تضمن حسن التتمة في مجلس الشيوخ ستتريث قبل الإلحاح بالمحاكمة لأن الحزب الجمهوري متماسك وراء ترامب، ولا تريد أن تطول المسألة ويستخدمها الرئيس ببراعة في تقديم نفسه ضحية للملاحقة خلال الحملة الانتخابية.

ولهذا فإن شبح الخسارة الكبرى يمتثل أمام الحزب الديمقراطي في انتخابات الرئاسة ومجلس النواب نظراً لعدم القدرة حتى الآن على تقليص الفارق ولبقاء الانقسام المتساوي سيد الموقف مع ما يحمله ذلك من غموض حتى اللحظة الأخيرة مع ترجيح بسيط لصالح سيد البيت الأبيض الحالي.

وفي حال إعادة انتخاب ترامب، ستكون الضربة موجعة للديمقراطيين كي يستردوا قواهم ويعيدوا ترتيب صفوفهم.

على صعيد "الدولة العميقة" و"الإيستابليشمانت" الأميركي، يظهر أن الاستثناء الذي بدأ منذ 2016 مع ظاهرة الرئيس المختلف، قد تعمق مع مسار محاولة العزل وتعمق عدم الثقة والشكوك المتبادلة ربطاً بقضيتي التدخل الروسي المفترض واتهام الضغط على أوكرانيا وعدة قضايا أخرى يمكن أن تمس بالأمن القومي الأميركي حسب البعض. لكن في حال نجاح ترامب باجتياز الحواجز وكسب السباق الرئاسي ثانية، ربما تصبح العلاقة أسلس مع الأجهزة الأمنية ووزارتي الدفاع والخارجية لأن العلاقة ملزمة لتسيير الدولة والدفاع عن مصالحها، ولأن عدم حاجة ترامب عندها للاهتمام بمصلحته الانتخابية الشخصية ستحسن من أدائه ومن القدرة على عمل المؤسسات إلى جانبه.

> الاستثناء الذي بدأ منذ 2016 مع ظاهرة الرئيس المختلف، قد تعمق مع مسار محاولة العزل وتعمق عدم الثقة والشكوك المتبادلة ربطاً بقضيتي التدخل الروسي المفترض واتهام الضغط على أوكرانيا

من نافل القول، إن انعكاسات محاولة العزل تطال صورة واشنطن ونهجها الخارجي في العالم. بالرغم من تباين الرؤى أو تناقضها إزاء القوة العظمى الوحيدة في العالم، كان لمنظومة القيم (الحرية، حقوق الإنسان، دولة القانون) دور في الترويج للنموذج الأميركي إلى جانب الازدهار الاقتصادي والتقدم العلمي. ومن هنا، فإن اهتزاز الالتزام بهذه المنظومة في الفترة الأخيرة يترك آثاره بالقياس للحلفاء وباقي الأطراف ويسهم بتراجع أكبر للغرب في ميدان العلاقات الدولية. لكن عدا هذا التأثير على الصورة والنموذج، سيتطلع كل العالم للمعركة الرئاسية القادمة ولو أن محاولة عزل ترامب لن تمر مرور الكرام وكانت مناسبة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين كي يدافع عن "صديقه" في سابقة بين الجبارين الكبيرين السابقين.

تعليقاً على إجراءات عزل دونالد ترامب، اعتبر بوتين أنها تستند إلى أسس «مختلقة»، أساسها «نزاع سياسي داخلي» بين الديمقراطيين والجمهوريين. أما "الحجة التي يسوقها خصوم الرئيس الأميركي ضده في ما يتعلّق بالقضية الأوكرانية، فجاءت بعد فشلهم في توريطه في مزاعم تدخل موسكو في انتخابات 2016 الرئاسية". ولم يتناس الرئيس الروسي المؤسسات الأميركية المتشددة حيال موسكو بسبب ما وصفه بـ«الخطوات غير الودّية» التي تتخذها تجاه روسيا، شاكيا على وجه الخصوص ما قال إنه رفض الرد على مقترحات موسكو لتمديد معاهدة «نيو ستارت»، التي في حال إلغائها «لن يكون هناك شيء في العالم يحدّ من سباق التسلح».

إن التركيز الروسي على أهمية العلاقة مع الرئيس دونالد ترامب يوازيه أيضاً العلاقة "الحميمة" و"الخاصة" للرئيس الأميركي مع إسرائيل ومجموعة ضغطها في الداخل. ومن دون شك، يبقى الرئيس الأميركي الحالي هو الأفضل بالنسبة للعديد من شركاء واشنطن في العالم العربي وأوروبا وآسيا لأنه أصبح معروفا لناحية اهتماماته في مجال كسب المصالح وانكشاف مواقفه، على خلاف الغموض الذي يحمله مرشح أو مرشحة الحزب الديمقراطي والتبديل الطفيف في السياسات الخارجية الأميركية عبر الرئاسات المتوالية.

هكذا يشغل دونالد ترامب العالم ويستمر العرض المثير طوال الأشهر القادمة، في سنة مصيرية بالنسبة للمشهد السياسي الأميركي وللميزان العلاقات الدولية.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk